مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10 / العـدد: 01 (2022)، ص 1431- 1447

التحليل السوسيولوجي لكتاب «مشكلة الثقافة» للمفكر الجزائري مالك بن نبي.

Sociological analysis of the book "The Problem of Culture" by the Algerian thinker Malik Bennabi

ثليجاني نورة [1]

[1] جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)، n.tlidjani@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/10 تاريخ القبول: 2022/01/16 تاريخ النشر:2022/01/23

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية الى التعرف على افكار المفكر الجزائري مالك بن نبي خاصة وانه احدث نقلة نوعية غير مسبوقة في الفكر الاسلامي الحديث واسس مفاهيم ومصطلحات فكرية وفلسفية، حيث جاءت افكاره حول مفهوم الثقافة برؤية جديدة جعلته يستجمع افكاره حول الثقافة ومشكلاتها وعرضها في صورة تحليلية تحفز الفكر العربي والاسلامي وتحركه باتجاه اكتشاف الحقائق والمصطلحات بوسائلة الخاصة ووفق المعطيات النابعة من تجربته.

الكلمات المفتاحية: الثقافة- الحضارة- الازمة الثقافية - التعايش الثقافي.

Abstract:

This research paper aims to identify the ideas of the Algerian thinker Malek Bennabi, in particular, that he made an unprecedented qualitative leap in modern Islamic thought and the foundations of intellectual and philosophical concepts and terms. Arab and Islamic and his move towards discovering facts and terminology by his own means and according to the data stemming from his experience.

Keywords: culture - civilization - cultural crisis - cultural coexistence.

المؤلف المرسل: ثليجاني نورة ،

1. مقدمة:

اتت جهود مالك بن نبي في بناء الفكر الإسلامي الحديث وفي دراسة المشكلات الحضارية عموما متميزة، سواء من حيث المواضيع التي تناولها أو من حيث المناهج التي اعتمدها في ذلك.

كان مالك بن نبي أول باحث يحاول أن يحدد أبعاد المشكلة ويحدد العناصر الأساسية في الأصل ويبتعد في البحث عن العوارض، وكان أول من أعطى منهجا محددا في بحث مشكلة المسلمين على أساس من علم النفس والاجتماع والتاريخ.
فكان حقا فيلسوفا ومؤرخا وسياسيا واقتصاديا ونفسانيا. له العديد من المؤلفات أهمها: الظاهرة القرآنية، تأملات، المسلم في عالم الاقتصاد، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، شروط النهضة، مالك بن نبي والوضع الراهن، ميلاد مجتمع، بين الرشاد والتيه، ومشكلة الثقافة إلى غيرها من المؤلفات الأخرى.

وسوف نحاول من خلال بحثنا أن نقدم تحليلا سوسيوجيا لأهم الأفكار التي جاء بها في كتابه" مشكلة الثقافة" حيث جرى العرف انه اذا اريد الحديث عن الثقافة ان تقتصر مشكلتها دائما في ذهننا على قضية الافكار ، ولكن الثقافة لاتضم في مفهومها هذه الافكار فحسب بل تضم اشياء اعم من ذلك كثيرا حيث تهتم باسلوب الحياة والسلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع .

ومع ذلك فان دافعنا من خلال هذه الدراسة هو مشكلة الافكار خاصة في الظروف الراهنة التي تعيشها الدول العربية والعالم الاسلامي .لذا اخترنا ان نقوم بتحليل كتاب مشكلة الثقافة لمالك بن نبي .

والذي توزعت محاوره على النحو التالي:

الفصل الأول: تحليل نفسي للثقافة

الفصل الثاني: تركيب نفسي للثقافة

الفصل الثالث: تعايش الثقافات

الفصل الرابع: الثقافة في اتجاه العالمية

الفصل الخامس: ما ضد الثقافة

2.حياته:

ولد مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي في 5 ذو القعدة 1323 هـ الموافق لـ فاتح من شهر جانفي سنة 1905 م بمدينة قسنطينة شرق الجزائر، وترعرع في أسرة إسلامية محافظة، مالك بن نبي هو احد أعلام الفكر العربي الإسلامي ويعد احد رواد النهضة الفكرية الإسلامية واحد أعمدة الإصلاح ورموز الثقافة الجزائرية، ويمكن اعتباره امتدادا للعلامة عبد الرحمان ابن خلدون، كما يعد أيضا من أكثر المفكرين المعاصرين الذين نبهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة، وكان كتابه مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي يعتبر من أهم ما كتب بالعربية في القرن العشرين.

تحلَّى مالك ابن نبيّ بثقافة منهجيَّة، استطاع بواسطتها أن يضع يده على أهم قضايا العالم المتخلِّف، فألّف سلسلة كتب تحت عنوان «مشكلات الحضارة» بدأها بباريس ثم تتابعت حلقاتها في مصر فالجزائر، وهي:

- الظاهرة القرآنية.1946
- شروط النهضة صدر بالفرنسية في 1948م وبالعربية في1957.
- وجهة العالم الإسلامي1954
- الفكرة الإفريقية الآسيوية 1956.
- النجدة...الشعب الجزائري يباد 1957.
- فكرة كومنولث إسلامي 1958.
- مشكلة الثقافة 1959.

- الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة 1959.
- حديث في البناء الجديد 1960
- تأملات 1961.
- في مهبِّ المعركة 1962.
- آفاق جزائرية 1964.
- القضايا الكبرى.
- مذكرات شاهد للقرن _الطفل 1965.
- إنتاج المستشرقين 1968.

3. **الثقافة عند مالك بن نبي:**

ينطلق تعريف مالك بن نبي للثقافة من نقد المنظور الراسمالي القائم على الفردانية ومن المنظور الشيوعي القائم على الجماعية و تتحدد الثقافة عند مالك بن نبي بداية من درجة تعريف الأشياء وتقبلها اجتماعيا، لان الشيئ لا يعد موجودا إلا إذا قدم فكرة تصبح برهانا على وجوده في عقولنا ويطلق عليه اسم وهذه تسمى عملية الإدراك ، وتحقيق الواقع الاجتماعي يتم بواسطة التصنيف، ومن ثمة يترجم إلى مفهوم، أي الانتقال من فكرة مبهمة إلى الوجود في فكرة معرفة وسوف تنمو إذا تم تنظيم نشاطه بعدما تم تحديد الزمن الذي انتقل من المرحلة التجريبية إلى المرحلة العلمية.

الثقافة باعتبارها عنصرا هاما في بناء أنا الفرد في المجتمع الحديث: أكد مالك بن نبي أن فكرة الثقافة مرتبطة ومتلازمة ولابد أن تعرف بكلمة **culture** لان العبقرية الاروبية أكسبتها قوة التحديد كي تنتشر التي ارتبطت بنهضتها.

حيث يرى أن للثقافة كفكرة حضور في الواقع المجتمعي العام بدءا من المجتمعات البدائية حتى الامبراطوريات ، لكنها كانت دون تحديد تشخيص لواقع اجتماعي، او بمعنى آخر لم يكن هناك تعريف لفكرة ثقافة ثم جاءت اروبا

الحديثة فانبثق مفهوم الثقافة في عصر النهضة وذلك من خلال مجموعة من الأعمال الأدبية النوعية في الفن والأدب والفكر.

وبهذا فالثقافة عنده تعني مستوى عالي من الامتياز العقلي أو الفني في شخص آو جماعة معينة من الأفراد وهي كذلك مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه باسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه. وبالتالي فهي فلسفة وقيم خلقية فردية وجماعية تؤثر في تكوين وتنشئة الفرد منذ طفولته.اذن الثقافة عند مالك بن نبي هي نظرية في العرفة ومنهج في السلوك وطريقة في العمل والبناء.

أما علماء الثقافة آو الانتثروبولوجيا وعلماء الاجتماع فهي تعني بالنسبة لهم معنى أكثر شمولا فالبعض منهم يعتبرها " ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل العادات والتقاليد والقيم والأخلاق والعقائد وكل العلوم والمعارف والآداب والفنون التي تكون سلوك الفرد وتحقق له الملائمة بينه وبين مجتمعه وبينه وبين الطبيعة والقيم الروحية والإنسانية". (لحسن سفيان، د س،ص20)

أي أنها كل ما صنعه أي شعب آو امة من نظم في تنظيم الحياة الاجتماعية والأفكار وكذلك مختلف الأدوات والوسائل التي تساعد في تثقيف الأفراد والمجتمعات.

فالنظرة السوسيولوجية للثقافة هي أنها وسيلة محورية تتجسد من خلال إرشاد وتوجيه سلوك الأفراد داخل المجتمع وفق نظم وعادات وتقاليد معينة داخل المجتمع الواحد.

وتتحدد المرحلة العلمية واقعيا بان لكل مجتمع أفكار ومعتقدات وعادات وتقاليد واتجاهات وقيم وأساليب التفكير والعمل وأنماط السلوك المختلفة التي تميز كل مجتمع عن الأخر. (عبد الحميد ابو سليمان،2008، ص54)

وبناء الفرد في المجتمع كما أشار إليه مالك بن نبي يكون عبر مراحل ، فالإنسان كائن بيولوجي عند ولادته يتحول إلى كائن ثقافي من خلال تفاعله مع أفراد داخل مجتمع معين وتفاعله مع ثقافتهم ،التي يتعلمها عن طريق عملية التطبيع الاجتماعي التي يمر بها الإنسان في حياته داخل المجتمع.

وقد أكد معظم الباحثين في الثقافة أن نجاعة الثقافة داخل المجتمع تكون سببا في توجيه المجتمع وتماسكه الجماعي .

فالإشكالية الابستمولوجية التي نسقطها على المجتمع حسب أفكار مالك بن نبي أن الإنسان يتعامل ويتفاعل مع المجتمع ومع محيطه الطبيعي على امتداد الزمان والمكان ومختلف التصورات والمفاهيم والقيم والأحكام التي تشكل في تراكمها ما نسميه بالثقافة ، وبالتالي يمكن إدراك العالم الخارجي والسيطرة عليه.

4. فكرة الثقافة:

إن الذي نريد أن نبرزه حول فكرة الثقافة لدى مالك بن نبي ان الغربيين حاولوا أن يشيعوا في كتاباتهم الغربية وتحديد التسمية الدقيقة للثقافة ،فكما بينه مالك بن نبي أن كلمة ثقافة هي لفظة **culture** والتي آخذت من كلمة لاتينية **cultura** وتعني تنمية أو زراعة العقل انه حسب ما استنتجناه من باحثين آخرين أن هناك اختلاف في تحديد صحة الكلمة وانتماءها، فالشائع قبل عصر النهضة والثورة ضد الكنيسة أنها مأخوذة من اللغة اللاتينية **cultus** وتعني عبادة و **cult** اسم يدل على مايلي:

- هي عبادة دينية وخاصة وما يتعلق بشعائر تلك الديانة وطقوسها.
- إعجاب كبير بشيء أو فكرة.عبادة.
- جماعة من البشر يمارسون هذه العبادة.
- الموضوع الذي توجه إليه العبادة أو الإعجاب.

- جماعة وفئة من الناس تدل ممارستها أو معتقداتها على تمايزها وانعزالها عن القيم والمعتقدات السائدة.

ومن كل هذا يتبين محور الثقافة كما عرفه مالك بن نبي بأنها" مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، فالثقافة على هذا الأساس هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته ...فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر" (تركي الحمد، 1993،ص ص 15-16)

وهكذا نرى ان هذا التعريف يضم بين حقيقتين:

فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة .أي معطيات الإنسان ومعطيات المجتمع على ضرورة انسجام هذه المعطيات في كيان واحد.لكن في الوقت الحالي عصر العولمة والمعلوماتية هناك من يميل إلى دراسة الثقافة في حد ذاتها والبحث عن وظائفها الاجتماعية المطلقة. وهناك من يرجح كفة التاريخ ولا يفهم الثقافة الا من خلال منظورها التاريخي.

إلا أن التعريفات والمدلولات التي تشير الى تعريف الثقافة تختلف بتعدد الثقافات والحضارات و الميولات الفكرية لكل باحث ودارس.

فيرى مالك بن نبي ان للثقافة كفكرة حضور في الواقع المجتمعي العام ن بدءا من المجتمعات البدائية الى الامبراطوريات لكنها كانت دون تحديد او تشخيص للواقع الاجتماعي وبمعنى اخر انه لم يكن هناك تعريف لفكرة الثقافة ثم جاءت اروبا الحديثة –عصر النهضة- فانبثق خلالها مفهوم ثقافة وذلك من خلال مجموعة من الاعمال الادبية النوعية في الفن والادب والفكر.

5. الثقافة وعلم الاجتماع:

قام مالك بن نبي بإظهار حقيقة علم الاجتماع،فعلم الوقائع الاجتماعية قد بدأب "اوغست كونت الذي يعدونه ابا لعلم الاجتماع ، والواقع ان عبد الرحمن ابن خلدون و من وضع معالم الطريق الى هذا العلم.

ويشير المصطلح بالإنجليزية: (**Sociology**) إلى الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي للأفراد، والأساليب التي ينتظم بها المجتمع بإتباع خطوات المنهج العلمي (محمد الجوهري، 2001، ص26)

وقد تعددت التعريفات الخاصة بعلم الاجتماع حيث عرفه جيمس فاندر انه "علم يدرس السلوك والتفاعل الإنساني، والذي يظهر في علاقة الأفراد بعضهم ببعض، حيث إنه يهتم بما يحدث بين الناس، وما يمارسونه من نشاطات بين بعضهم البعض، وبالعلاقات التي تنمو وتتطور فيما بينهم، كما أنه يهتم بالمحافظة على تلك الروابط

أما ماكجي فهو يرى مع زملائه أن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس النظام الاجتماعي، والذي يعبر عن النمط الذي تقوم على أساسه الشؤون بين الأفراد في المجتمع، بدءاً من العلاقات البسيطة بين الأفراد كالتعاون مثلاً، إلى العلاقات بين الجماعات التي تشترك بمواقف سياسية معينة، وتتحدث اللغة نفسها. (محمود عودة، ص ص 15-19)

وبالتالي فان علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية، والأنظمة الاجتماعية، وسلوك الإنسان في علاقته ببيئته والمجتمع، ويطلق عليه ابن خلدون الذي يُعتبر أول من اكتشفه، علم العمران، وذلك لأنه يهتم بالعمران البشري، والسلوك الإنساني، ويعتبره علماً واسعاً، حيث إنه يشتمل على العديد من الأوجه، فهو يهتم بالبيئة وتأثيرها على حياة الأفراد وسلوكهم، كما أنه يدرس حياة البدو والحضر، ويهتم بالدولة وماهيتها، ونشأتها وأسباب تقدمها أو تأخرها.

6. طبيعة العلاقة الثقافية:

لقد أوضح مالك بن نبي أن القيمة الثقافية للأفكار والأشياء تقوم على طبيعة علاقتها بالفرد وهذه الصلة تتجسد في العلاقة المتبادلة بين سلوك الفرد وأسلوب الحياة في مجتمع معين ، لان الفرد ينمي كيانه المادي منذ ولادته من خلال عمليات بيولوجية متعارضة هذا من جهة كما ينمي كيانه النفسي من جهة أخرى من خلال الوسط الذي يعيش فيه ، لكن اذا فقد صلته بالمجال الحيوي فقد يموت ماديا ، وإذا فقد صلته بالمجال الثقافي فانه يموت موتا ثقافيا ، والمجتمع الإسلامي خير دليل على ذلك ..... كانت مستمدة من ثقافته المتجانسة المتأصلة في شخصياته والأمثلة المقدمة من قبل مالك بن نبي هي دليل على ذلك، ترمز إلى إيجاد حركات الفكر والعواطف ودوافع العمل.

كما انه لكل ثقافة وجودها الخاص وبالتالي درجة التأثير والتأثر والتفاعل تختلف من شخص إلى أخر،هذا حسب موقعه وتواجده داخل المجتمع.

7. توجيه الأفكار:

يرى مالك بن نبي أن الأفكار يجب أن يتماشى مع عدم الإسراف في الجهد وفي الوقت،مع حسن إدارة الموارد البشرية بجانبه الجسمي والفكري نحو أحسن الظروف الزمنية والإنتاجية ...لان اختلاف الشخصيات في التعامل مع الأمور والأفكار حسب ما حدده مالك بن نبي سوف يعيق مسا النشاط الاجتماعي الذي بدوره يتماشى مع تلك الظروف لأنه سوف يصاب بالشلل لأنها قد انحرفت نحو اللهو والعيش ، ولتحقيق التوازن لابد من توجيه الأفكار بان لا يكون هناك فراغ يصل بها.

وبالتالي يمكن القول بان التوجيه في حد ذاته قوة في الأساس وترافق في السير وهو يجنب الأسراف في الجهد والوقت ، ونجد بان هناك نوعين من الأشخاص

مقاول ماهر يدير ظهره للأفكار فتنعدم فاعليته، أو رجل مخلص وهبه الله فكر خصب لكنه يكدس الأفكار بعضها فوق بعض.

من هذين المثالين نستخلص أن النشاط يصاب بالشلل عندما يدير ظهره للفكرة كما تصاب الفكرة إذا ما انحرفت عن النشاط.

8. **توجيه الثقافة:** إن توجيه الثقافة وتحديدها عند مالك بن نبي يكون من خلال نقطتين"

- تحديدها وفق حالتها الراهنة.
- تحديد وفق مصيرنا.

لان الثقافة هي نقطة فاصلة بين عهد الفوضى والجمود وعهد التنظيم والتركيب والتوجيه، لذا دعا مالك بن نبي إلى ضرورة تجاوز عهد الظلام والتدهور النفسي والفكري. (مالك بن نبي ، 1974، ص54)

من خلال ما قدمه مالك بن نبي يمكن القول بان جيلنا هذا حد فاصل بين عهدين: عهد الكساد والخمول وعهد النشاط والحضارة ، من هذا وجب التجديد على طريقتين" الأولى طريقة سلبية تفصلنا عن شوائب الماضي والثانية طريقة ايجابية تصلنا إلى الحياة الكريمة. لذا لابد من تجاوز الرواسب والمخلفات السلبية للماضي والتمسك بمتغيرات الحاضر التي تتماشى مع طبيعة الفكر الاجتماعي ووضعيته ودرجة تقبله للتغيير نحو الأحسن مع الاحتفاظ بما يضفي الحاضر والمستقبل طابعه الحضاري المستقر والمتطور لأنه لا يمكننا أن نستغني عن الماضي، بل يمكننا تعديله وإعطاؤه رؤية جديدة وجادة تفاؤلية نحو مواكبة التحضر.

لان الثقافة تتألف من نماذج من التقاليد المترابطة التي استمر تداولها عبر الزمان والمكان بإمعان العقل والقدرات اللغوية و الترميزية التي يمر بها الإنسان.

كما ان مالك بن نبي حول تأكيده على ضرورة وجود استقرار في دورة الحضارة لضمان حياة كريمة هو نفس ما ذهب إليه تايلور بان مفهوم الثقافة متلازم مع الحضارة. (حسن عبد الله العايب،2004، ص ص 27-28)

فالثقافة هي مجمل ما وصلت إليه الأمم من تطور في جميع المجالات ، أما الحضارة هي انعكاس للثقافة ، فالأول هو السبب والثاني هي النتيجة الحتمية .

إذن لا يمكن تجاوز أو محو أي ثقافة أو حضارة لأنها تبقى راسخة ومتناقلة عبر الأجيال .

9.الأزمة الثقافية:

لايمكننا مثلا ان نعتبر ان الفلكلور هو الثقافة في حد ذاته بل هو جزء منها لاغير، بهذا التماسك والتحليل والتركيب يمضي مالك بننبي الى تحديد معالم الازمة بعدم السماح للنشور عن طريق الضغط الاجتماعي والنقد والاستنكار ، حيث تبدا بوادر الازمة تظهر عند زوال الجو الثقافي وتعذر تركيب العناصر ، وشخص مالك بن نبي هذه الحالة في الوطن العربي على انها *ماضد الثقافة*دليلا على التخلف من خلال هذا المفهوم يطرح مالك بن نبي فكرة انه إذا ما تم زوال الجو الثقافي عندها تنشا أزمة ثقافية والتي تشير إلى ترك الحرية للفرد دون وجود ضبط اجتماعي ، هذا ما سوف يدمر بناءه الذي ينتج عنه زوال الالتزام بين المجتمع والفرد، ومن ثمة زوال الحضارة لأنها مرتبطة بحياته وتفاعله الجدلي مع هذه الحياة.

فالأزمة الثقافية حسبه هي مشكلة عامة لا يمكن تداركها إلا من خلال ثروة عارمة تبدأ من نقطة الصفر ، وهذا ما أوضحه من خلال مثال الثورة الصينية .كما يؤكد مالك بن نبي على أن الأزمة الثقافية تكون في اشد ذروتها من خلال نقطتين: إما الاستسلام والهروب من الواقع هذا من جهة أو من ناحية أخرى العمل بانتهازية والتواطؤ باسم الواقعية وهذا ما يسبب الأزمات والنكبات للبلاد،

مشيرا إلى ادني مستوى ابتداء بتدني المستوى الأخلاقي للفرد مؤثرا على المستوى الاجتماعي مرورا بانطواء الثقافة على ذاتها متجهة نحو الحضارة نحو العدم ،فالثقافة للحضارة كالدماء للجسد تغذيه وتصنع مناعته.

ومن كل هذا يريد مالك بن نبي من خلال الأمثلة المقدمة أن يبين تدهور الإنسانية وحتى فقدانها في بعض الحالات. فالثقافة العربية مثلا اصبحت تشكل مسرحا للفوضى القيمية وساحة للتناقضات بين القيم والمبادئ ،بين الشعارات والانجازات، بين التصرفات والممارسات، وبالتالي فان الشباب ينشأ في مجتمع يحفل بكل هذه التناقضات لابد له من ان يواجه المعاناة القيمية وان يعيش هذه الفوضى الفكرية".

(احرشاو الغالي، 1993،ص 75)

ومما استخلصناه من خلال طرح مالك بن نبي يمكن القول بان علة الثقافة تكمن في الثقافات البشرية، لأنه لا يمكن أن ننكر الثبات لبعض أسس الثقافات إلا انه على المجتمع ونخبته ان يلعبوا محورا رئيسيا من خلال رفض الجمود والسكون الفكري من جهة وعدم ترك الحرية لكل فكرة تشدد فيها ولا تخدم الصالح العام من جهة أخرى لان مبدأ الفكرة لابد أن يتغير ويتحول مع تحولات التاريخ والمجتمع.

(تركي الحمد،1993، ص ص 20-21).

وهذا ما تعرفه الأزمة المعاصرة للثقافة العربية لأنها تشهد ثبات وسكون للمفاهيم والتصورات والقيم مع فقدانها لأي صلة مع الواقع والمحيط المتغير، فالأحكام الصادرة عنها هي أحكام مزيفة أو مشوشة للعقل، ومن ثمة لا يسمح من فهم مجريات الأمور فلا تتحقق الأهداف، بل تتحقق الفوضى ودمار الأبنية الاجتماعية. فالأزمة الثقافية والقيمية حسب الدكتورة ملكة ابيض "تكمن في شعور الفرد العربي بالتمزق لأنه اصبح يعيش في عالمين كلاهما غريب عنه، عالم

الثقافة التقليدية التي لا تستطيع ان تضمن حاجاته، وعالم الثقافة الصناعية الحديثة التي تشعره كل لحظة بالنقص لأنه يستهلك منتجاتها دون ان يسهم في بنائها" (ملكة ابيض، 1984، ص 22).

10.تعايش الثقافات:

إن فكرة مالك بن نبي تبدأ من التفكير في مشكلة الإنسان أنها تعد مشكلات الحضارة، فحسبه يوجد رباط وثيق بين الحضارة والثقافة، وعلى ضوء الأمثلة المذكورة في كتابه، فان التبادل الثقافي يتم في نطاق حضارة واحدة لكن الانتقال من مكان لأخر من اجل ذلك يكون من وجهة التبادل الفني الذي يترك صبغة انفعالية جمالية ، وبالتالي تقوى الروابط الثقافية.

فتحديد فعالية التعايش الثقافي بين الجماهير تبدأ من المحيط الثقافي ،لان الثقافة جو من الألوان التي تحدد أسلوب الحياة، وتنقل أفكار الجماهير الشعبية وأفكار القادة الفنية وهذان العنصران هما اللذان يغذيان عبقرية الحضارة، إلا أن صورة الثقافة لدى المجتمعات مستمدة من الروح الأخلاقية والجمالية لأنها وجهة تربوية ثابتة لدى الإنسان تكون مصاحبة له عبر التاريخ، وبهذا يمكن الوصول الى تعايش الثقافات.

استخلاصا لما تطرق إليه مالك بن نبي فانه يمكن القول بان تعايش الثقافات ينطلق حسب عرضه من مواجهة طوق النفوذ عن طريق تحكيم سياسة العقل المنبثقة إلى التعاون الفكري قصد مواجهة أي خلل يواجه البشرية ، بالتركيز على الحكمة الإنسانية المتمسك بها لمواجهة البؤس السوسيوبسيكو فني الذي يضمن تحقيق حضارة الجماهير وفق تعايش ثقافي.. (ارمان ماتلار،تر: خليل احمد خليل، 2008، ص ص 50-51).

وعلم الاجتماع حدد بدوره 5 آليات لتحقيق التعايش الثقافي المتمثلة فيما يلي: التبادل الثقافي- التعاون الثقافي-التطابق الثقافي- الالتزام الثقافي- الصراع الثقافي. (فادية ابو خليل، 2014، ص 160)

وبهذا إذا تم التمسك بهذه الآليات الخمسة يمكن ان نقول بأنه قدتم تحقيق تعايش ثقافي بين المجتمعات داخلها وخارجها.

11. **الثقافة في اتجاه العالمية:**

في المحور الأخير من كتابه "مشكلة الثقافة "يبين مالك بن نبي أسباب أزمات العالم الإسلامي وتفوق الدول الغربية عليه، فحسب رأيه ليست أزمة العالم الإسلامي أزمة وسائل وإنما أزمة أفكار وان لم يدرك ذلك سيبقى مرضا عضالا يهدد شبابه ويفتك به .

فكان من ضمن ما افترضه مالك بن نبي ان الثقافة تتحدد اخلاقيا وتاريخيا داخل تخطيط عالمي لان المنابع التي سوف تستقي منها افكارها ومشاعرها والقضايا التي سوف تتبناها لا تستطيع هذه كلها ان تتجمع في ارض الوطن ولا يتم ذلك فعليا الا بتحقيق المستوى الاجتماعي الذي يمكن فيه ان ننطلق لنبني ثقافة تتمتع بالأصالة والعالمية معا، ثقافة تدل على ارتفاع المستوى الاجتماعي لأفرادها محليا وتبذل الحلول الجديدة والمبتكرة لمشاكل العالم.

وهو يؤكد هذه الرؤية في جانب *الثقافة في اتجاه العالمية* بقوله _على المسلم ان ينظر الى الاشياء من اوسع زاوية نظر انسانية ممكنة لكي يبني تصوره حول مستقبله في الاطار العالمي ويدرك دوره الخاص ودور ثقافته في هذا الاطار العالمي...ان العالم مكتظ بالعلم والثقافة المتشبعين بالنزعة الامبراطورية. وهو مليئ بروح الحرب والتسلح. لكن يبقى هناك فراغ رهيب في الضمير ويجب ملؤه (مالك بن نبي، 1984،ص ص 116-117)

لذا لابد من مواكبة ركب الإنسانية مثل ما خلقه"غاندي" في الهند من روح إنسانية تتجه نحو السلام، وأوضح فيما كتبه أن الدول الإفريقية يمكنها أن تطور نفسها بنفسها لما تربع عليه من تراث فني يمكن أن يساعدها للاتجاه نحو المستقبل ، والذي يكون من خلال نقطتين أساسيتين هما: مزاج الثقافة ورقعتها وهو ان لا تجد أي تهديد داخلي أو خارجي في ثقافتها الحضارية لأنها أصبحت تتحدد أخلاقيا وتاريخيا داخل تخطيط عالمي ، لكن حسبه إن مشكلة الثقافة عند المجتمعات الإفريقية ، لان أفرادها مختلفون اجتماعيا، فمنهم من أو لا يزال مستعمرا، ونوع كان ولا يزال مستعمرا.

وبهذا فان الوعي الثقافي عند المجتمعات باختلافها ينبثق من درجة التماسك بين الأفكار في إطار ثقافي مستمد من فنيات سابقة وحالية تنبؤيه في إطارها الايجابي دون تحيز أو تشدد أو انسحاب في بناء حضارة عالمية مناهضة للحياة الكريمة.

حيث كان من ضمن ما افترضه مالك بن نبي أن الثقافة تتحدد أخلاقيا وتاريخيا داخل تخطيط عالمي، لان المنابع التي سوف تستقي منها أفكارها ومشاعرها والقضايا التي سوف تتبناها والاستفزازات التي سوف تستجيب لها والأعمال التي سوف تقوم بها لا تستطيع هذه كلها أن تتجمع في ارض الوطن، ولا يتم ذلك فعليا إلا بتحقيق المستوى الاجتماعي لأفرادها محليا وتبذل الحلول الجديدة والمبتكرة لمشاكل العالم.

لذا وجب على البلاد العربية والإسلامية أن تولي اكبر قدر من اهتمامها لمشكلة أفكارها، وخاصة تلك البلاد التي لا تملك كثيرا من أدوات القوة المادية.

12. خاتمة:

يعد كتاب مشكلة الثقافة لمالك بن نبي أول كتاب يتحدث عن الثقافة بالمعنى الذي يتداول في الكتب الغربية ورغم صغر حجمه إلا أن محتواه أعمق في تتبع التكوين الثقافي للمجتمعات الإنسانية ليصل إلى تعريف الثقافة أو تشبيهها بالوسط الذي نعيش فيه بكل مكوناته. ففي هذا المؤلف حصر المفكر مالك بن نبي مشكلة الثقافة من خلال تحليل مفهومها عبر العصور والحضارات وقام بطرحها بأسلوبه الحكيم الذي تتميز به معظم كتاباته بناء على تجربته وخبرته واستقرائه لتطور الحضارات والشعوب والمختلفة.

فقد ألم المؤلف بالجذور الثقافية والمؤثرات الحضارية لعدد من المجتمعات بتقديمه عدد من الأمثلة من كل مجتمع مؤكدا من بداية الكتاب إلى نهايته ،و ان أي تفكير في مشكلة الحضارة هو أساس التفكير في مشكلة الثقافة".

فالعالم قد دخل في مرحلة لايمكن ان تحل فيها اغلبية مشكلاته الا على اساس نظم الافكار وفي مرحلة كهذه يتحتم على البلاد العربية والاسلامية ان تولي اهمية اكبر لمشكلة افكارها .

فقد حمل هذا الفيلسوف هموم التخلف الحضاري لأمته الإسلامية، فكان يشخص الأمراض، ثم يقدم أسبابها وعللها، دارساً تفرعاتها ومظاهرها وأوجهها المختلفة في العوالم التي يعيشها في العالم الإسلامي، في الأفكار والأشخاص والأشياء وقلما استطاع كاتب مفكر أن يجمع كما جمع مالك بن نبي ، بين سعة الإطار والرفعة ، وعمق النظر والبحث، وقوة الإحساس والشعور. فالمفكر الجزائري (مالك بن نبي)، ذهب لكن افكاره بقيت خالدة نراها ونعيشها في وقتنا الحالي واخيرا يمكننا القول بانه ينهل من نفحات وينابيع الحقيقة الخالدة.

12. **المراجع** :

1. الغالي احرشاو، (1993)، الشباب العربي والممارسة الثقافية المأمولة، مجلة شؤون عربية، العدد 75،سبتمبر.

2. ماتلار أرمان ، تر:خليل احمد خليل(2008)، التنوع الثقافي والعولمة ، مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم، ا كويت، ط1.

3 الحمد تركي (1993)، الثقافة العربية أمام تحديات التغيير، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1،

4. العايب حسن عبد الله ، (2004) ،اثر العولمة في الثقافة العربية، دار النهضة العربية ،بيروت، لبنان، ط1.

5. أبو سليمان عبد الحميد، (2008) ، الأمة وأزمة الثقافة والتنمية، دار السلام للطباعة والنشر ط1.

6. أبو خليل فادية، (2014) ، الثقافة والتنشئة الاجتماعية وأثرها في تكوين شخصية الفرد، دار النهضة العربي، بيروت، ط1.

7. بن نبي مالك ، تر: شاهين عبد الصبور، (1984)، مشكلة الثقافة ،دار الفكر المعاصر،بيروت، لبنان،ط4،

8. محمد الجوهري،(2001)، الإنتاج العربي في علم الاجتماع ، كلية الآداب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة .

9. ابيض ملكة، (1984) ، الثقافة وقيم الشباب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا.